دور المتصوفة في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م.

د. صباح بعارسية
أستاذة محاضرة بجامعة الجيلالي بونعامة (خميس مليانة)

الملخص:

تتناول هذه الورقة دور المتصوفة في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، والمقصود بالمتصوفة: المرابطون وشيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم من الفقراء والخدام...، وقد كان للمتصوفة دورا سلبيا وآخر إيجابيا؛ فأما الدور السلبي فتجلى في مساهمتهم في السبات الذي دخله المجتمع الجزائري، إلى جانب وقائع سياسية وتاريخية أخرى، وذلك بندائهم للتواكل بإلغاء الإرادة فانتشر الجهل والخرافة وتأخر المسلمون، كذلك مساهمتهم في انخفاض مستوى التعليم بعد أن انتقل إلى الزاوية، واعتمد وسائل عتيقة، فأضحى التعليم ببغاوية وأغلق باب الاجتهاد إذ "لم يترك السلف للخلف شيئا" يجتهدون فيه. على أن دور المتصوفة لم يكن كله سلبيا، فزواياهم كانت الملجأ والمشفى والنزل، كان يأوي إليها الناس أيام الجوائح، وبالزوايا تم الحفاظ على إرث الأجداد وعلى حفظ القرآن، كما كانت الرباطات مواقع متقدمة للجهاد ضد الإسبان. كما عمل المتصوفة على نشر الإسلام في المناطق التي كادت تندثر منها بعض مبادئه، و بعملهم هذا نشروا اللغة العربية أيضا. أما عن دور المتصوفة الاجتماعي فقد كان عظيما فدورهم في العلاقات الاجتماعية، خاصة في المناطق التي غاب عنها الحكم المركزي، كما في البوادي والجبال، فقد كانوا قضاة، وحُكمهم كان محترما، وزواياهم كانت حرما لا يجرأ أحدا على اقتحامه مهما كانت الجريمة التي ارتكبها اللاجئ إليها. وخففوا بذلك من الأزمة النفسية التي تعرض لها المجتمع الجزائري إبان القرن 10هـ/16م.

Résumé :

Ce présent article examine le rôle des soufis en Algérie au 10ème siècle de l'hégire/16ème siècle après J-C. Le terme soufis veut dire les marabouts، les chorfas، les cheikhs des confréries religieuses et leurs disciples et adeptes. Les soufis avaient un rôle négatif et un rôle positif ; pour le premier ils avaient contribués، avec des événements politiques et historiques ، à la régression de la société algérienne، avec leurs idées tels que l'annulation de la volonté humaine devant la volonté divine، ce qui a contribuer a la propagation de l'ignorance et de la superstition. Mais d'un autre côté les soufis étaient des sentinelles qui avaient bien gardés l'identité de la société algérienne en préservant la religion et la langue arabe au sein des zaouias.

مقدمة:

حظيت فئة المتصوفة، التي كانت ممثلة في المرابطين والأشراف وشيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم من المريدين والإخوان والخدام...، بمكانة كبيرة لدى الحكام والمحكومين في المجتمع الإسلامي، وكان لبعض عناصرها تأثير قوي على العامة، سلبيا وآخر إيجابيا، وسنتعرض في هذه الورقة لدور هذه الفئة في الجزائر خلال القرن 10هـ/16م، ومدى تأثيرها على المجتمع الجزائري.

أولا: الدور السلبي:

لقد أدت مبالغة الاعتقاد في الشيخ كسلطة روحية، وانتشار الزوايا والأضرحة إلى تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد، لأن نقل التعليم إلى الزوايا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى منه، وبطريقة جافة ريفية ضيقة، وكانت الزاوية تنافس المدرسة والجامع في نشر التعليم، لكن اكتفاء الزوايا بالحد الأدنى منه وتقديمه بطريقة جافة جعل مستوى التعليم فيها يتدهور، ومن ثمة منافسة الشيخ المرابط أو شيخ الطريقة الصوفية لعالم الدين أجبرت علماء المساجد والمدارس على تبسيط الدروس حتى لا يفر الطلبة إلى الزوايا، وأضحى التنافس من أجل الأتباع، وضمان

لقمة العيش، بدل أن يكون من أجل رفع مستوى التعليم، أو ترقية الحياة الفكرية، مما أعاق الاجتهاد وحرية الرأي، وأضحى التعليم ببغاوية مغرورة، واقتصر على علم الفروع دون علم الأصول[1]. فوجه المتصوفة الفكر كيفما شاءوا[2]. كيف ذلك ؟

إن تركُز السلطة السياسية بالمدينة، قد جعل نشاط العلماء الفقهاء ينحصر في أمور العبادة والتعليم وبعض الوظائف؛ كالإشراف على الأوقاف، وتصدُر النشاط الثقافي. كما سمح تضاؤل سلطة الحكام بالريف، لشيوخ الزوايا بتجاوز إطار الخدمات الدينية والتعليمية، التي قنع بها الفقهاء بالمدن، فأصبحوا سلطة حقيقية مستقلة بشرعيتها، وبمصادر تمويلها ونشاطها الخاص، مما جعلهم متعاملين مستقلين عن السلطة السياسية، وفي أحسن الأحوال حلفاء لها، فيما ظل الفقيه بالمدن مراقبا حتى في نشاطه الديني والتعليمي، وبعيدا عن مصادر القرار[3]. ومن أمثلة الدور السلبي الذي أداه المتصوفة:

1- إلغاء الإرادة: وأعظم خطر قام به المتصوفة، هو مفهوم التوكل الذي جاءوا به، والذي لم يقتصر على إلغاء الحرية والاختيار، ونشروا هذا المفهوم لدى كل الأوساط، وعبَروا عنه بعدم الاكتراث كلية بكل ما لا يتعلق بالالتزامات الدينية، فنتج عنه القدرية الماحقة للإرادة، المضادة لكل تبصر ولكل سعي، مما أدى إلى انحطاط الدراسة والعلوم والفنون[4]، وانقلبت الزوايا إلى معقل خرافة ببناء عقلية التواكل بعزوف أهل الزوايا عن العلم إلى الخوارق والكرامات[5]. فدعوة الصوفية للفقر كانت السوس الذي قضى على عظام المسلمين وجعلهم من أذل الشعوب، كذلك دعوتهم للقناعة التي اعتبرها زكي مبارك رذيلة إنسانية تؤدي إلى التخلف، وما الصوفية في نظره سوى قوم كسالى وادعون ذهب بهم الجوع إلى أودية الموت[6].

فها هو عبد الرحمان الثعالبي(875هـ/1470م)[7] ومحمد بن يوسف السنوسي (895هـ/1490م)[8]، وهما أهم عالمين عرفهما القرن 9هـ/15م، فرغم إنتاجهما العلمي، وسلوكهما الصوفي، وتأثيرهما على المعاصرين لهما، فإنهما كانا يبحثان عن العزلة ودعوا الناس للهروب إلى الآخرة، والصبر على ظلم السلطان[9]. كان هذا في القرن 9هـ/15م وهما عالمان جليلان، فكيف الحال بعلماء القرن 10هـ/16م ؟

وهذا أحمد البوني(1140هـ/1727م) ينادي، بإسقاط التدبير تماما عن الإنسان، ويرى أن ما أصاب البلاد من أهوال وظلم هما لمصلحة لا يعلمها إلا الله، ولا حاجة لثورة الإنسان على الظلمة، وهذا ينم عن الحال الذي وصل إليه الفكر الصوفي منذ الثعالبي والسنوسي. يقول البوني:

وكل الأمور لمبديها وخالقـها .... فـما إلى العبد تخيير وتدبيـــر
فرب رأي نراه نافعا حسنا .... وما حديث لعمري فيه تدبيـــر

فالله يعلم ما للعبد مصلحة فيه وقد يصحب التعسير التيسير[10].

2- **الخرافة والجهل:** لقد كان هناك صنف من المتصوفة، سكت عنهم الحكام، بل وتبادلوا الرشى، مما يدل على المرض الذي أصاب المجتمع الجزائري دينيا وسياسيا وأخلاقيا، فقد استعمل هؤلاء "الأدعياء" جميع الوسائل لاستغلال العامة، ونشر الجهل والخرافة[11]، فقد كان يتم نسخ كتب السحر بالزوايا[12]. وكأن المجتمع أصيب بضربة عنيفة أذهبت العقول وحولت أفراده إلى مجاذيب وبهاليل، لا يملكون سوى الهذيان الصادر عن الفعل غير الواعي في سعي للخلاص من الإحباطات، والفشل في تغيير الواقع[13]. فكتُب المرائي النبوية ومعراجات الأولياء والأنبياء والبطولات المأثورة عن الصحابة أو الخلفاء، والإسهاب في تحبير الرؤى والأحلام حول قيام الساعة، والتلذذ بذكر نعم الجنة وأهوال الجحيم، هذه الأدبيات دعمت الاعتقاد في المعجزات وساعدت على انتشار القيم القدرية الداعية إلى الخنوع والتسليم، في حين عبرت الاستغاثات النبوية وأحزاب الذكر والوظائف من ناحيتها عن فظاعة الإحباط الذي لازم المجتمع، وساهمت تبعا لذلك في التخفيف من الهزة النفسية التي اعترته[14].

وبهذا استطاع المتصوفة أن يوجهوا الفكر كيفما شاؤوا، فنشروا فكرة إلغاء الذات في ملكوت الله، مما أوقع المسلم في حقل من النشوة، فتوقف تطوره الفكري[15]. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف تمكن المتصوفة من توجيه الفكر؟

إن المسلمين ينظرون للمتصوفة، وخاصة شيوخ الطرق الصوفية، على أنهم نفوس محمية من الله، وذات علاقة خاصة مع عالم الأرواح، والذي لا ينساق وراء هذه الأفكار، يعجز عن معارضتها علنا، لأن ما يقوم به الشيخ سر، على المسلم أن ينصاع له في صمت، ودون نقاش لهذه الخرافات التي استغلها المتصوفة في تقديس العقول الساذجة لهم، وتمكنوا بفضلها من الحصول على أموالهم[16]، حيث جعل بعض المتصوفة المشعوذون الخرافات مطية لمآربهم النفعية[17]. واستشرت عقلية التوسل بطريقة صارخة بعيدة عن مبادئ الإسلام[18].

3- انحطاط الحضارة: رأينا كيف أدت بعض مفاهيم التصوف وسلوكاته إلى انحطاط الدراسة والعلوم والفنون، أي انحطاط الحضارة الإسلامية بموازاة انتشار التصوف المتزايد في الأوساط الشعبية والريفية. فقد ساهم التصوف في انحطاط مستوى النشاط العلمي وركود الحياة الأدبية بعد أن تغلغلت أفكار المتصوفة في أوساط العلماء ما أدى إلى توكلهم وتواكلهم، فنتج عنه التعصب ضد كل جديد[19].

إن تحول المعطيات الأولى للإسلام، بتأثير تصوف القرن 9هـ/15م خصوصا والقرون التالية، قد أدى، إلى جانب وقائع سياسية وتاريخية أخرى، إلى ضعف الحضارة الإسلامية في كل المجالات ابتداء من ذلك العصر[20]. على أنه لم يكن للمتصوفة دورا سلبيا فقط، بل كان لهم دورا إيجابيا ساهم في الحفاظ على الهوية الجزائرية.

ثانيا: الدور الإيجابي:

إذا كانت الزاوية قد قامت بدور سلبي أدى إلى تخلف الحضارة الإسلامية، فإن دورها الإيجابي لا يتجلى فقط في غرس القواعد الإسلامية في قلوب المغاربة، ولكن يظهر أيضا في النقاط التالية:

1- الدور الثقافي الديني:

أ- **التعليم والجهاد:** لم تؤد الزاوية دورا سلبيا فقط، فقد قامت الزوايا ببث العلم، وإن كان بسيطا، في صفوف الناس لأنها كانت خارج المدن مسجدا جامعا يؤمه الناس للصلاة ولطلب العلم ولفض النوازل[21]، فزاحمت بذلك المدن العلمية، وكان كثير من علماء العواصم يلحقون بمعاهد البوادي[22].

أما في المدن فكانت معظم الزوايا معطلة عن التعليم لوجود الكتاتيب والمساجد والمدارس المتخصصة، لكنها قامت بدور لا يقل أهمية كاستقبال الدارسين في المساجد المجاورة[23]. وفي الريف، ومع بداية القرن 10هـ/16م، تحولت الزوايا إلى معاهد للتعليم، حيث سهلت المباني، التي كانت جاهزة، في ازدهار حركة التعليم بالريف وسرعة انتشاره، مما جذب طلاب المدن للدراسة بها[24]، مثال ذلك انتقال سكان بجاية لضواحيها أو للجبال بعد الاحتلال الإسباني للمدينة في 915هـ/1510م، وكان طلبة العلم من هؤلاء يطلبونه بـ "ثمعمرت"؛ التي كانت عبارة عن معهد لتعليم القرآن وحفظه بمنطقة القبائل، ورغم أن هذه المؤسسة لم تكن تخضع لشيخ بل لقوانين داخلية محكمة، فإنها كثيرا ما شدت أزر المجاهدين في الحروب[25].

هكذا نرى أن الزاوية بالريف قامت بدور أكثر إيجابية منه في المدينة، فمنذ القرن 10هـ/16م كانت الزوايا عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء، ولما كان المتصوفة وحدهم القادرين على التأثير في العامة، ولأنهم لا يعترفون بالحاكم الدنيوي، ويتكلمون باسم الإسلام فقط، فباسمه تجمعوا ونادوا للجهاد[26]، فالتف حولهم السكان، وأضحت الزوايا ملجأ لهم أمام ضعف السلطة الحاكمة[27] حيث قاد المتصوفة أتباعهم للجهاد، ونصروا المجاهدين وأطعموهم بزواياهم، وتحالفوا مع الأمراء الرافضين للغزو الأجنبي. وخير مثال مدرسة مازونة التي تأسست في القرن 10هـ/16م، وكانت البديل عن الثقافة المفتقدة والفوضى العارمة، فالحملات الإسبانية بداية القرن 10هـ/16م فجرّت مبادرة تعويضية تمثلت في خلق مدرسة للعلوم الدينية موجهة لتحضير الجهاد وتجاوز تناقضات الوسط[28].

وتضاعفت الزوايا ونشرت تعاليم الإسلام حتى في الدواوير البعيدة، كما نشرت التعليم، وإن كان بسيطا، فقد شمل كل الناس عكس جامعات القرون الوسطى. كما يسر التصوف تعريب الفئات الشعبية بالحواضر والأرياف[29].

وهكذا تمكن المتصوفة من تلقين العقول البسيطة بعض التعليمات[30]، وظهرت حركة تثقيفية شعبية في إطار الزوايا[31]. وأضحت الزوايا مراكز للحياة الدينية تعمل على تقريب التصوف إلى أذهان العامة[32]، والأهم من هذا هو تعليم القرآن للصغار[33].

ب- التمكين للقواعد الإسلامية لدى المغاربة: ابتداء من القرن 9هـ/15م، زاد انتشار مبادئ الإسلام في بلاد المغرب كلها بالتئام المجتمع حول الطرق الصوفية التي أدت دورا هاما في الحياة الصوفية[34] بالزاوية، هذه الأخيرة عملت على تعميق روح الانتماء والأخوة الإسلامية بواسطة تربية أخلاقية وتوجيه روحي للعامة، أساسه المواظبة على العبادة وتلاوة الأوراد[35].

فهذا محمد المسعود الشابي (1028هـ/1620م) حفيد أحمد بن مخلوف الشابي (887هـ/1482)، مؤسس الطريقة الصوفية، عندما رأى باللجة (30 كلم عن قمار بناحية سوف) أناس يلعبون عراة ولا يصومون رمضان، جهلا وليس كفرا، عمل على نشر الإسلام بالمنطقة حتى أسلم على يديه أهل اللجة كلهم وأهالي آخرين بالصحراء[36]. وهذا سيدي فرج في أوائل القرن 10هـ/16م يُعلِم سكان الساحل الغربي لمدينة الجزائر كيفية الوضوء والصلاة دون أن يكل أو يتعب[37].

كما عملت الزوايا ابتداء من القرن 9هـ/15م على تنظيم الإنتاج المادي، وسعت إلى احتواء العلوم الإسلامية والشريعة[38]. هكذا حفظت الطرق الصوفية الإسلام في عصور الجهل[39].

إن الاتباعية التي تأسست عليها الزوايا والطرق الصوفية هي التي نهضت، بعد قرنين من التردي العميق(8 و9هـ/14 و15م) بنشر الثقافة الإسلامية على نطاق واسع في البوادي والمناطق الجبلية المنعزلة[40] وذلك بالتفقيه التدريجي الضروري لكل الناس في غياب إلزامية التعليم[41]. كما أطرت الزوايا الحرف خلال القرن 10هـ/16م، فالنقابات التي كانت تنظِّم الحرف كانت تابعة للطرق الصوفية[42].

2- الدور الاجتماعي: كان للزوايا شأن عظيم في القرن 10هـ/16م، فإضافة لما ذكر أعلاه، كان لها وجود اجتماعي، فقد كانت عقل المنطقة ومنبع العدل ومكان اقتسام الثروات[43]، والحرم والمستشفى والمحكمة والمطعم والنزل[44]. من ذلك تنشيطها العلاقات الاجتماعية بما كان يُقام عند الضريح من حضرة وزردة، وهذه الأخيرة مرتبطة بالحياة الزراعية (دورة زراعة الحبوب) لأنها تقع قرب الاعتدال الخريفي (بعد الحصاد وقبل الحرث)، وهي فرصة للاعتراف بالجميل لما حصل وللتبرك لما سيلحق[45]. فبهذه المناسبة تتكون سوق كبيرة تباع فيها المواشي والحبوب والثياب والحلي، ويتجمع المختصون في شفاء الأمراض والموسيقيون والشعراء والفرسان...[46] حيث يلتقي الناس ويأخذ بعضهم عن بعض، وكثيرا ما كانت تحصل مصاهرات بعد

التعارف. وتروج بهذه المناسبة التجارات والابتكارات، وتعمر بها الجيوب، خاصة وأن السلطات الحاكمة كانت تشجع الحضرات والاحتفالات بالمولد النبوي[47]. على أنه لا يجب إغفال أن الدور الاجتماعي ليس فقط بفضل المكانة المقدسة بل أيضا لموارد الزاوية الاقتصادية[48].

وكان لشيوخ الزوايا نسيج من العلاقات الاجتماعية. كانوا يخالطون الناس عند الاقتضاء، ويؤازرونهم عند القضاء، فهم أسرع إلى إقامة العدل وإلى تركيز الأمن[49]. فالتصوف العملي (الشعبي) كان وسيلة للتغيير وإعادة التكامل الاجتماعي لأن الطرق الصوفية كانت وسيلة لتجاوز القيود الوراثية؛ فابن الفلاح وهو يربط نفسه بشيخ طريقة، يستبدل حدود حياة القرية بالأماكن الشاسعة للعالم الإسلامي، وهو متأكد من وجود الأصدقاء في كل مكان[50]. فزوايا الطرق الصوفية تؤدي خدمات حيوية؛ فهي تجذب الناس وتدعوهم للانخراط في صفوفها[51].

ومما كانت تقوم به أيضا هو مساعدة الفقراء والمرضى والمسافرين؛ فالزوايا أوت بالمدن الفقراء والعجزة والغرباء[52]. وقوة التمائم، التي كانت تُكتب في الزاوية، أعطت الثقة الفردية للحفاظ على الاستقرار الاجتماعي[53]. وبصفة عامة، كان المتصوفة بالنسبة للعامة فاعلي خير حقيقيين[54]، ففي أيام القحط كانت الزوايا دائما مضيافة للضعفاء والمحتاجين، كما سمحت للفلاح أن يغرف من مطمورتها للأكل والزرع، وهو غير مطالب برد المعونة وإنما الواجب الأخلاقي هو الدافع لردها أيام اليسر[55].

وكثيرا ما كان المرابطون من المتصوفة يقومون أيضا بحماية القوافل ومراقبة الأمن العام[56] والأسواق[57]. وقد أشار الونشريسي(914هـ/1509م) أن بعض المرابطين أقاموا بالأماكن المخوفة لتأمين السبل[58]. وذكر ليون أن من أراد عبور ضواحي مدينة الجزائر، سواء من الأهالي أو الغرباء، كان عليه اصطحاب مرابط ليأمن الطريق[59]. وكان شيخ الطريقة الراشدية أحمد بن يوسف الملياني(930هـ/1524م) يقوم بوظيفة صاحب الشرطة ويسعى لتمكين الأشخاص من استرجاع ما سُرق منهم[60]. ليس هذا فقط بل هناك من المتصوفة من كان يراقب تحركات إسبان وهران لحماية القبائل المجاورة للمنطقة. هذا ما قام به المرابط أبو مهدي عيسى بن موسى التجاني الذي أنقذ سكان العطارية من غارة كانت موجهة ضدهم، وذلك بإعلامهم بقدوم الإسبان، وفعلا تمكنوا من الهرب للجبال المجاورة وهذا نحو سنة

950هـ/1543م[61]. وقد كانت الزوايا تقوم بحماية الهاربين إليها من المجرمين والساسة والثوار المغضوب عليهم بالمدن والأرياف والبوادي[62].

كما قام مرابطو التجمعات والقرى بحماية المحاصيل عن طريق إخافة السُراق، حراسة الحطب والعربات والزوارق... كل هذا مقابل أن يقوم الناس بزردة من حين لآخر[63]. كما أن الموانئ المستقلة عن الحكم المركزي كانت تخضع لرياسة شيوخ الصوفية وأصحاب البحر؛ فالسفن تبنيها جماعات التجار والملاحين، وكلهم أتباع طرق صوفية، ولكل ميناء مشيخة بحره. وتقسم مغانم البحر بين المشيخة و"المجاهدين"، والتفاوض لفك الأسرى يكون مع مشيخة الرواق، والفدية تدخل لصالح الجماعة، وأحيانا ترفض المشيخة فك أسر بعض الأسرى المعروفين بعدائهم للمسلمين[64].

وعندما يعجز الحكم المركزي في التحكم في الأمور، وإصلاح ذات البين بين الناس، كان المتصوفة، بما لهم من مكانة، يتدخلون ويتوسطون بين المتنازعين، فوحدهم كانوا يمثلون بعضا من العلم والحكمة والعدل والرحمة[65]. وعندما تضطرب الأمور في البلاد وينعدم الأمن فيها وتعجز السلطة السياسية عن التحكم فيها، كان المرابط هو الملاذ الذي يلتجئ إليه الأهالي لتسيير أمورهم[66]، وله الدور الرئيسي في الصلح والسلم والتحكيم خاصة في الأيام المضطربة، فكان الناس يلتجئون للمتصوفة ليحكموا بينهم في النزاعات[67]، لأن المرابطين وحدهم بإمكانهم التوفيق بين السكان الذين يتنازعون الأرض. كما كان يستنجد بهم الناس كلما عمت الفتن، حيث قبلت القبائل "البربرية" تدخل المرابطين لوقف التطاحن[68]، فأخذ المتصوفة زمام الأمور من الحكام، خاصة بالجبال لأنهم الأقدر على فض النزاعات[69]. فقد استعمل المرابطون ببلاد القبائل مثلا حق العناية لوقف التطاحن بين القبائل، وحتى بين أفراد القبيلة الواحدة. وهذا الحق مقدس لا يجرؤ على خرقه أحد مهما كانت الجريمة التي ارتكبها اللاجئ للمرابط[70]. وكثيرا ما قام المتصوفة بوعظ الناس، وكثيرا ما توسطوا لإصلاح ذات البين في البوادي، بحسم الخلاف والخصام وتوطيد الوئام بين أهالي المداشر، أين تنعدم أو تكاد سلطة الدولة[71]، كما فعل سيدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي(القرن 10هـ/16م)، "ذو الكرامات"، عندما أصلح بين أولاد طلحة بالغرب الجزائري، وعندما عارض أحدهم، من الترارة، الصلح دعى اليعقوبي عليه فصار "يئن ويتوجع من كل أعضائه حتى مات"[72]. ولأن المتصوفة تمتعوا بسلطة

لا يستهان بها، يعترف بها الجميع، ذلك أن الرابط الأخلاقي الذي عمل المتصوفة على توطيده مع الناس سمح لهم بتصدُر الحياة السياسية والاجتماعية[73]، فهم وحدهم يملكون الحق لإقامة السلم، أو توقيع هدنة[74]، فكلمتهم مسموعة، وقراراتهم نافذة[75].

كما كان بعض المتصوفة خطباء نجباء وقادة للعامة[76]، ميزتهم أنهم يملكون قوة خارقة هي "البركة"، يمنحون بعضا منها لأصحابهم ضد أعدائهم. وهذه القوة متصلة بالله، لكن العامة يطلبونها من المتصوفة وليس من الله[77]. أما رفض قرار المرابط في التحكيم، فيؤدي إلى البلاء، وشيوخ الطرق الصوفية، فكوا النزاعات القبلية عن طريق التهديد بالعقاب السماوي[78]، فـ"إذا ضاق ذرع الولي هلك من يؤذيه في الحال"[79]، مثل دعاء المرابط سيدي محمد قدار(القرن 10هـ/16م) على أولاد هبرة لتعرضهم للمهاجرين الأندلسيين، فكان مصيرهم الانقراض بفعل هجمات قبيلة سويد والإسبان[80].

وبهذا فقد تدخلت الزوايا في المعادلة الصعبة بين اللجوء إلى القوة والارتكان إلى المفاوضة والإقناع في العلاقات بين المجموعات البشرية وبين المجتمع والمؤسسات السياسية، رغم هذا لم يتمكن التمرين الدؤوب في التلقين الصوفي، والإصرار على أن يغمر الشركاء بعضهم بعضا، لم يتمكن من القضاء نهائيا على كل الصراعات والازدواجيات، ولا من تجنيد جماهير غفيرة من خلال ملكة الإقناع المباشر فقط[81].

3- الدور السياسي: كان المتصوفة يوصلون الحقيقة المؤلمة للحكام عن فساد الأوضاع، بايات كانوا أم باشوات، لكن هؤلاء تغاضوا عنهم، لأن المتصوفة كانوا الوسيط بين الحاكم والقاعدة، خاصة بالجبال[82]. ومثلت الزوايا نواة ذات نفوذ فاعل يوازي نفوذ السلطة السياسية أو يتخطاه أحيانا لوقع الشيوخ في النفوس دون السياسيين[83]. كما خدم بعض المرابطين المحليين سياسة الحكم وذلك عندما استعان بهم العثمانيون لقلب النظام المحلي[84]؛ فالناس يثورون على الحكومات الإسلامية لأسباب عقلية وروحية، أكثر مما يثورون عليها لأسباب اقتصادية، فالحاكم يُبغض لأنه ينصر هذا المذهب أو ذاك، قبل أن يُبغض لأنه قصر في تدبير أمور المعاش للمحكومين، لهذا كان الساسة المهرة يصلحون ما بينهم وبين القوى الدينية، ليستخدموهم في بث الدعاية ونشرها، ونشر ما يحبون أن يوصفوا به من إيثار العدل وحب الكرم[85]، ربما مثال ذلك المليانى، المذكور أعلاه، الذي ضيق عليه

الزيانيون لأنه نادى بضرورة إصلاح الدين، فوضع نفوذه في خدمة العثمانيين[86]، الذين ما فتروا أبدا عن الجهاد ضد "الكفار"، على عكس الزيانيين. لهذا هادن الحكام المتصوفة لمصلحتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[87].

ولكن شيوخ بعض الطرق الصوفية وأتباعهم كانوا في بعض الأحيان يقودون المعارضة ضد الحكام، أو ينتقدونهم علانية، و كان رد هؤلاء عنيفا[88]، ومقاومة المرابط ابن القاضي الزواوي (933هـ / 1527م) للعثمانيين دليل على ذلك، كذلك قضاء درغوث باشا (972هـ/1565م) على سيدي محمد بن أبي الطيب رئيس الشابية، وعلى دولتهم في 964هـ/1557م[89].

فأهمية الطرق الصوفية لا تخفى على أحد، لنفوذ شيوخها وتأثيرهم على سياسة البلد، لأن المنخرطين بها كُثر، لهذا هي قوة تفرض نفسها[90]. فشيخ الزاوية كان يتطلع أحيانا للحكم فيعارض الحاكم[91]، وقد تضررت المملكة الزيانية من هذا، وكان رد فعلها عنيفا، كما فعل السلطان "محمد الثابتي" (880-911هـ/1475-1505م)، الذي أعدم مرابط عين الحوت سيدي عبد الله المنصور، وسجن ابن سيدي محمد بن سعيد الحاج الذي رفض استعطافه ودعا عليه، كما عانى أحمد بن يوسف من مضايقات الزيانيين[92]، ومثل لجوء أهل تلمسان إلى المرابط ابن ملوكة (توفي في العشرية الرابعة من القرن 10هـ العشرية الثالثة من القرن 16م) عندما عاث عروج بربروسا(924هـ/1518م) في المدينة فسادا فدعا عليه قائلا:"لا رجع إلى تلمسان أبدا اعتمادا على الله"[93]، كذلك موقف العثمانيين من الشابية[94]، الذي جسد جيدا تطلع شيخ الطريقة الصوفية للحكم، وجسد أكثر موقف الحاكم من هكذا مواقف.

لقد كان الشيخ المرابط قناة للتعبير عن عدم الرضا الاجتماعي، وإصغاء الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا للمجتمع الريفي وحتى الحضري، كان دائما عكس الدولة المركزية التي كانت تربطها علاقة إدارية أكثر منها حضارية. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على العلاقة التي كانت تربط الناس بالمتصوفة الذين عملوا جهدهم لرفع الظلم عن العامة، ما جعل السلطة الفعلية في هذه المناطق المستقلة ترجع للمؤسسات التي خرجت من أحشاء هذا المجتمع[95]. وكان احتمال التدخل لشيوخ الطرق الصوفية في شؤون الدولة واردا، فلقد خرجت رياح الثورة، حتى على الحكم المحلي[96]، من الزوايا حيث كان القرويون يرون قواتهم تتضاعف حول المرابط لمقاومة العثمانيين،

لهذا أنشأ هؤلاء مواقع متقدمة للمخزن، منها بويرة، بوغني، تيزي وزو[97]... وسيتجلى هذا في القرنين 11 و12هـ/17 و18م وهو خارج نطاق هذه الورقة، لكن هناك مثال اليعقوبي الذي رفض حكم العثمانيين[98] في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م، ويمكن اعتباره نموذجا متقدما للثورات ضد العثمانيين بالجزائر، رغم فشل مقاومته ثم مغادرته إلى فاس[99].

مما تقدم يمكن القول أن هناك عقد روحي وأخلاقي يربط بين الطرق الصوفية والفئات الشعبية المنتمية لها، هذا العقد تكرسه الزاوية بالتزامها بتحقيق الحاجيات الاجتماعية والدينية[100]، فمن جهة الفئات الشعبية تكرسه باعترافها المتواصل عن طريق الزيارات (هدايا، قرابين،...)[101]، لهذا كانت الزوايا العامل الوحيد القادر على إثارة الحماس، وتجنيد الأتباع، وتنظيم المقاومة. فقد كانت مراكز لتجنيد الناس لمقاومة الغزو الأجنبي، من مختلف الفئات[102]، واستنفارهم للجهاد المقدس ضد الإسبان حيث استخدم شيوخ الزوايا التأييد الإلهي[103]، و غدت المناطق المجاورة للمواقع المحتلة من طرف الإسبان ثغورا، ومنطلقات للهجوم عليها. كما استعمل المتصوفة الوجد لإثارة العاطفة الدينية في القتال[104]، حيث ومنذ القرن 10هـ/16م، أصبحت الزاوية مؤسسة لشيخ الطريقة الصوفية، يجتمع فيها المريدون لذكر الأوراد، كما كانت مأوى لطلبة القرآن وللمتخاصمين الذين يقصدونها لتحكيم المرابط. وقد كثر هذا النوع من الزوايا بعد الحملات الإيبيرية على سواحل المغرب الكبير[105].

خاتمة:

في الختام يمكن القول أن حركة التصوف في القرن 10هـ/16م تدحرجت من تصوف العصور الوسطى النخبوي الفلسفي إلى التصوف الشعبي العملي، الذي أضر بالحضارة والفكر وأدخل الشعوب الإسلامية، بما فيها الجزائر، في سبات عميق لم تستفق منه إلا أواسط القرن 13هـ/19م، بالخرافات التي نشرها المتصوفة والتي زكتها السلطة العثمانية بالمكانة التي جعلتها للمتصوفة.

لكن من جهة أخرى عملت الطرق الصوفية بالجزائر على ترسيخ القواعد الإسلامية بالمداشر والأرياف، واستطاعت احتواء السخط الاجتماعي ضد العثمانيين لأن

هؤلاء كانوا يجاهدون ضد "النصارى" على طول السواحل، لكن عندما انحصر "الجهاد البحري" وتراجعت مداخيله، واستدار العثمانيون نحو الداخل لاستيفاء الضرائب من السكان، حتى زمن القحط، وقف المتصوفة إلى جانب العامة بعد أن فشلوا في رأب الصدع بين الحكام والمحكومين، بل ومنهم من ثار ضد الحكام "الظلمة".

الهوامش:

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 18، كذلك ألفرد بل: الطرق الإسلامية في الشمال الإفريقي: من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، الطبعة 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 410.

[2]- Octave Depont et Xavier Coppolani : Les confréries religieuses musulmanes، J.Maisonneuve et P.Geuthner S.A، Paris، 1987، P 148.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: مؤسسة الزوايا في الجزائر العثمانية (نموذج بلاد القبائل)، عمل نشر في
International congress on learning and education in the ottoman world، Istanbul، 12-15 april، 1999، 15ص

[4]- ألفرد بل، المرجع السابق، 408، 409 .

[5]- كمال عمران: الثقافة الإسلامية: مظاهر التجريب والتجريد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1992، ص 118.

[6]- زكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، الجزء 2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص 150.

[7]- أنظر ترجمته في كتاب الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (قاموس عام لتراجم المؤلفين من القرن 8 هـ إلى الآن)، لمحمد الحسني الإدريسي الكتاني الفاسي، الجزء2، طبع بالمطبعة الجديدة، الطالعة، 1346هـ، ص131، 132.

[8]- أنظر ترجمته في أعلام خير الدين الزركلي، المجلد 7، الطبعة 10، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص 154.

[9]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 49.

[10]- أحمد البوني: في إسقاط التدبير، ضمن مجموع، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائر، رقم 2266، ورقة 92 وجه.

[11]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 472.

[12]- Etienne Cécile Éduard Villot : Moeurs، coutumes et institutions des indigènes de l'Algérie، 3ème édition، librairie Adolphe Jourdain، Alger، 1888 ،p 229.

[13]- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 29.

[14]- لطفي عيسى: مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17م، سراس للنشر، تونس، 1994، ص 90.

[15]- O.Depont et X.Coppolani : OP Cit، P 172.

[16]- Louis Rinn : Marabouts et khouans : études sur l'islam en Algérie، Adolphe Jourdin libraire-éditeur، Alger، p106.

[17]- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة 5، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 481.

[18]- كمال عمران: المرجع السابق، ص 118.

[19]- محمود بوعياد: جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 52.

[20]- ألفرد بل: المرجع السابق، ص 365.

[21]- كمال عمران: المرجع السابق، ص 103.

[22]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ: العهد الرابع: العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة-المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 191.

[23]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 296.

[24]- مسعود العيد: "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، في سيرتا، عدد 3، 1980، معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، ص 61.

[25]- محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، د.ت، ص 31، كذلك المهدي بوعبدلي:"الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، في الأصالة، عدد 13، السنة 3، 1973، مطبعة البعث، قسنطينة، ص 26، 27.

(26)- Auguste Cour : L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs d'Alger: 1509-1830، Ernest Leroux éditeur، Paris، 1904، P 53.

(27)- محمد الحاج صادق: مليانة ووليها أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص 101.

(28)- Jacques Berque : L'interieur du Maghreb 15ème-19ème siècles، Gallimard، France، 1978، P 48.

(29)- Alfred Bel : Caractères et développement de l'Islam en Berbèrie et plus spécialement en Algérie، Bibliothèque Nationale، Alger، 1931، P 193، 194.

(30)- P. Murati، "Le maraboutisme ou la naissance d'une famille éthnique dans le région de Tébessa،" in Revue Africaine ،n°371، 2ème trimestre، 1937، Sociéte Historique Algérienne، Alger، P 14.

(31)- عبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، الجزء 3: من الغزو الإيبيري إلى التحرير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، 1999، ص 71.

(32)- محمد نسيب: المرجع السابق، ص 28.

(33)- Benjamin Stora et Ellyas Akram : Les 100 portes du Maghreb (l'Algérie- le Maroc- la Tunisie) trois voies singulières pour allier islam et modernité، les éditions de l'Atelier-éditions Ouvrières، Paris ،p123 ،et Paul Odinot :"Role politique des confréries religieuses et des zaouia au Maroc،" in Société de Géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran fondée en 1878، tome 51، 1930، société anonyme des papeteries et imprimeries Fouque، Oran ،P 37.

(34)- Pierre Boyer : "La politique religieuse des Turcs،" in Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée، n°11، semestre 1er، 1966، Archives d'Outre Mer، Aix-en-Provence، P 16.

(35)- ناصر الدين سعيدوني: مؤسسة الزاوية، ص 12.

(36)- محمد العدواني: تاريخه، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 110 و123 و113 و126، كذلك

Charles Féraud : "Kitab El Adouani ou le Sahara de Constantine et de Tunis،" in Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de la Province de Constantine، 2ème volume de la 2ème série، 1868، L.Arnaulet libraire éditeur، Constantine، P 61.

(37)- C.Trumelet : L'Algérie légendaire en pèlerinage ça et là au tombeaux des principaux thaumaturges de l'islam (Tell et Sahara)، libraire A.Jourdin، Alger، 1892،P 371.

(38)- عبد الله حمودي: الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2000، ص 25.

(39)- توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 375.

(40)- لطفي عيسى: المرجع السابق، ص 8.

[41]- محمد الأمين بلغيث:"الطريقة الشابية في تونس والجزائر(محاولة لرسم مسار الحركة) خلال القرنين 16 و17م"، في المجلة التاريخية المغاربية، العدد 114، السنة 31، جانفي 2004، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، ص 39.

[42]- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته المجلد 2، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 345.

[43]- B.Stora et E.Akram : OP CIT ،p 123.

[44]- عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة (القرن 16-17م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2000، ص 12.

[45]- لطيفة الأخضر: الإسلام الطرقي: دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 63.

[46]- نفسه، ص 64 .

[47]- زكي مبارك: المرجع السابق، الجزء2، ص 334.

[48]- لطيفة الأخضر: المرجع السابق، ص 64.

[49]- كمال عمران: المرجع السابق، ص 99.

[50]- سبنسر ترمنجهام: الفرق الإسلامية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق: عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997، ص 352.

[51]- عبد الله حمودي: المرجع السابق، ص 25.

[52]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 376، كذلك أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 269، كذلك سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص349، كذلك ناصر الدين سعيدوني: مؤسسة الزوايا، ص 21. ذكر ليون الأفريقي أن مرابطين بمنطقة قصر إيسلي (شرق تلمسان) كانوا يوفرون لعابري السبيل المأوى والمأكل. أنظر

J.Léon l'Africain : Déscription de l'Afrique، tome 2، traduit de l'italien par A.Epaulard، Adrien-Maisonneuve éditeur، Paris، 1956، 327.

[53]- سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 349.

[54]- P.Murati: OP Cit، P 14.

[55]- O.Depont et X.Coppolané : OP Cit، P 230 ،et E.Villot ،OP CIT ،p 471.

[56]- عبد الكريم الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 201، كذلك سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 488. ذكر الفكون أن سيدي أحمد بن بوزيد، بعد فتنة 975هـ/1567م بقسنطينة عمل على إعادة الممتلكات التي سرقها اللصوص من السكان. أنظر الفكون: المرجع السابق، ص 159.

[57]- Eugène Daumas: Mœurs et coutumes de l'Algérie، introduction : A.K.Djeghloul، Sindbad، Paris، P 160.

(58)- أحمد الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، المجلد 2، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 403.

(59)- J.L.L'Africain : Op Cit، tome 2، p 356.

(60)- عبد الله نجمي: المرجع السابق، ص 96.

(61)- Louis Guin : "Quelques notes sur les entreprises des Espagnols pendant la 1er occupation d'Oran 10ème siècle de l'hégir،" in Revue Africaine، n° 30، 1886، OPU، Alger، 1986، P 319.

(62)- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 296، كذلك، ناصر الدين سعيدوني: مؤسسة الزوايا، ص 22. من أمثلة حرمة الزاوية توقف عبد الصمد الشابي(1025هـ/1616م) عند مدخل زاوية سيدي عبد الحميد عند مطاردته أعدائه، أنظر:

C. Féraud :"les Harar seigneurs des Hanencha : études historiques sur la province de Constantine،" in Revue Africaine، n° 18 ، 1874، OPU، Alger، 1985، P 146.

ومن أمثلة اللجوء للمتصوفة ما قام به المرابط أحمد الكبير(946هـ/1540م) بين سنوات 907-929هـ/1502- 1523م تجاه الأندلسيين الفارين من إسبانيا، فقد أنشأ مخيمات لهم بين البليدة والجزائر. أنظر

Kamel Filali: " Sainteté maraboutique et mysticisme: contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane ،"in INSANIYAT ،n 3 ، Hiver 1997،p123 1998، الجزائر، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية

(63)- Robert Montagne : Les Berbères et le makhzen (dans le sud du Maroc : essai sur la transformation politique des sédentaires (groupe Chlouh)، librairie Félix Alcan، Paris، 1930، P 49، 50.

(64)- حسين مؤنس:المرجع السابق، المجلد 2، ص 155.

(65)- P.Murati: OP Cit، P 14، et P.Odinot :OP CIT، P 37.

(66)- Youssef Nacib : Chants religieux du Djurdjura، Sinbad، Paris، 1988، P 21.

(67)- A.Hanoteau et A.Letourneux : La Kabylie et les coutumes kabyles ،tome 3 ، 2eme édition، Augustin Challamal éditeur ،Parie ،1893، P 2.

(68)- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص57، كذلكR.Mantagne : OP Cit ، 50-49 P

(69)- S.Boulifa : Le Djurdjura a travers l'histoire (depuis l'antiquité jusqu'à 1830) : organisation et indépendance des Zouaoua (Grande Kabilie)، J.Bringau imprimeur-éditeur، Alger، 1925، P 192.

(70)- A.Hanoteau et A.Letourneux، OP CIT ،P 78.

(71)- عبد القادر نور الدين: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 68، كذلك أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، الجزء 1، ص 488.

[72]- محمد بن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 134.

[73]- S.Boulifa : OP CIT، P 183.

من أمثلة ذلك الحلف الذي أقامه عبد الصمد الشابي ضد العثمانيين وتكون من الحنانشة، النمامشة، الحراكتة وسكان الأوراس المنخرطين بالطريقة الشابية. وأصلح بين القبائل. أنظر C.Féraud : les Harar، P 143.

[74]- C.Trumellet: Les saints de l'Islam: légendes hagiologiques et croyances algériennes: les saints du Tell ،Didier et Cie libraires- éditeurs ،Parie ،1881 ،p 50.

[75]- عبد القادر نور الدين، المرجع السابق، ص 68.

[76]- A.Cour : Op Cit، P 8.

[77]- Émile Dermenghem : Le culte des saints dans l'islam maghrébin، Gallimard، Paris، P 15.

[78]- سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 353.

[79]- عبد الوهاب الشعراني: (لواقح) الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، تحقيق: لجنة التراث في الدار، دار صادر-دار البشائر، دمشق، 1999، ص 292.

[80]- Renet Basset : "Les dictons satiriques attribués a Sid Med Ben Youcef،" extrait du Journal Asiatique، 1890، imprimerie nationale، Paris، P 30، et M.A.Arnaud : "Voyages extraordinaires et nouvelles agréables par Med Abou Ras B.Ahmed B.Abd Elkader Ennasri : histoire de l'Afrique septentrionale،" in Revue Africaine، n°24، 1880، OPU، Alger، 1986، P 181.

[81]- عبد الله حمودي: المرجع السابق، ص 25.

[82]- C.Trumelet: Op Cit، P 51.

[83]- كمال عمران: المرجع السابق، ص 100.

[84]- R.Basset : Op Cit، P 21.

[85]- زكي مبارك: المرجع السابق، الجزء2، ص 290،291.

[86]- R.Basset : Op Cit، P25، 26.

[87]- كمال عمران: المرجع السابق، ص 115.

[88]- Charles Brosselard : Les Khouans : de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie، imprimerie de A.Bourget، Alger، P 5.

[89]- C.Féraud : les Harar، P 142، et H'sen Derdour : Annaba 25 siècles de vie quotidienne et de lutte، menus appendices sur l'histoire générale du grand Maghreb، tome 2، SNED، Alger، 1983، P34.

[90]- C.Brosselard : Op Cit، 5.

[91]- سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 355.

[92]- P.Boyer: OP Cit، P 13.

[93]- محمد بن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 136، كذلك محمد الوفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية: هوداس،

مطبعة بوردين وشركاه، Angers، 1888، ص 17. وأضاف الوفراني الحديث التالي: "إن من عباد الله من لو أقسموا على الله في شيء لأبره".

(94)- أنظر كيف انتهت دولة الشابية على يد العثمانيين في مقال شارل فيرو عن الأحرار، ص ص 146، 148.

(95)- لطيفة الأخضر: المرجع السابق، ص 64. لكن لا يجب تعميم قاعدة أن شيوخ الزوايا لا ينالوا من حقوق الناس، فليس كل شيخ ذا استقامة كاملة وعزم نحو الفضيلة، والبحث عن المثالية في الظاهرة مجانب للصواب. أنظر كمال عمران: المرجع السابق، ص 100، أنظر كذلك أمثلة عن بعض الشيوخ الذين كانوا يستغلون البسطاء من العامة صباح بعارسية: مواقف الحكام والعلماء من المتصوفة في الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2015، صص 241، و245، 246.

(96)- O.Depont et X.Coppolani : OP Cit، P 23.

(97)- Y.Nacib : OP Cit، P 21.

(98)- محمد بن مريم: المرجع السابق، ص 134، 135.

(99)- أنظر عن عصيان وثورة المتصوفة على العثمانيين في الجزائر خلال العهد العثماني صباح بعارسية: المرجع السابق، الباب الأول، الفصل الثاني.

(100)- لطيفة الأخضر: المرجع السابق، ص 57.

(101)- ناصر الدين سعيدوني: مؤسسة الزوايا، ص 26.

(102)- سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص 357. لقد وجهت الزوايا العامة: الفقير منهم والغني، الفلاح والخمّاس، المرأة والطفل، الشيخ المقعد والنافذ. أنظر

O.Depont et X.Coppolani : OP Cit، P 213.

(103)- كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 481.

(104)- E.Villot : Op Cit ،P 470.

(105)- محمد نسيب: المرجع السابق، ص 31